بين لغة الأدب ولغة الإعلام

وليد أبو بكر

ما الذي تعنيه اللغة داخل عملية الاتصال الانساني؟

إذا غاب التأمل، قيل إنها أداة اتصال، أو وسيلة له.. أو دعاء.. فهل اللغة كذلك حقا؟

إن اللغة، في محاولة أولية للتعريف عبارة عن مجموعة من الرموز الاصطلاحية القادرة على «الانتقال» بما تعبّر عنه من أفكار، بين أفراد مجتمع انساني بعينه. هي «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» كما ذكر ابن جني، عالم اللغة العربي، في كتابه «الخصائص» قديما[١].. وهي في النظرة - الحديثة - «نظام من الرموز الصوتية. تتمكن جماعة اجتماعية من التواصل بواسطتها»[٢].

النظرة الحديثة تقبل اللغة، كوسيلة، وحين تفسّر النظرة العربية القديمة، تعطي لفظة «يعبّر» معنى تعسّفيا يعني الأداة أو الوسيلة أيضا.. لكن التأمل قد يحول دون هذا المعنى..

واذا كانت النظرة الحديثة - في علوم اللغة، أو فقهها، أو الألسنة - تؤكد ان اللغة نظام، وضعي، أساسه الرموز الصوتية التي جرى عليها الاتفاق، وهدفه الاتصال.. فان كل هذه الأمور تثير التساؤل حول الاشارة الى اللغة كأداة: فهل هي أداة حقا.. في عملية الاتصال؟.

اللغة التي نتحدث عنها، هي اللغة الطبيعية. لغة الصوت الانساني، والحرف الذي اكتشفه الانسان، بعد أن تحولا - بالتركيب، والتتابع، والتشكيل - إلى رموز. وهي ليست اللغة الوحيدة في حياة الانسان: لقد اخترع له لغات صناعية تناسب تطوّره.. هي أيضا عبارة عن رموز اصطلاحية، لكنها ليست لغات طبيعية - مكتشفة - لأنها غير متصلة - على الأقل - بأعضاء الانسان، التي يعتبر كل ما هو طبيعي، امتدادا لها، ولملكاته.

فهل هذه اللغات الصناعية - كلغة الرياضيات، بمعنى رموزها - هي أدوات أيضا؟

التأمل يقود الى ان القول ان الاداة هي الآلة - طبيعية كانت أم صناعية - وان ما يوضع في الآلة، ليتحول، أولينقل، ليس لآلة نفسها، وليس الأداة، ولا الوسيلة، ولكنه شيء آخر تماما..

واللغة، من هذا المنطلق، شيء آخر، غير الأداة.. انها أعظم أثرا لاننا «في كل تفكيرنا، نقع تحت رحمة اللغة، لأنها أصبحت «وسيلة» التعبير في مجتمعنا» من وجهة نظر حتمية سابير وورف[٣]، فهل كل هذه القيمة يمكن أن تعطى للوسيلة. أم أن ما فطنت إليه الكاتبة الأميركية سانورا راب حين ذكرت «أن الاشارة الى الكلمات باعتبارها «أداة»، تسيء الى الكلمات[٤]» هو الامر الاكثر قربا الى موقع اللغة؟

ان مثل هذه الاشارة - دون نسيان تعريف ابن جني - تدعو الى البحث عن مكانة أفضل، للغة، في عملية الاتصال الانساني.. تلك «العملية التي يتم بمقتضاها تفاعل بين متلقي الرسالة ومرسلها في اطار اجتماعي معين»[٥] ويبدو أن مثل هذا التعريف يعتبر الرسالة أداة، إذا تصوّرنا ان عناصر الاتصال ثلاثة: المرسل، المستقبل، الأداة..

يكون التساؤل: ماذا عن الآلة المرسلة؟ أليست هي أداة الاتصال حقا، سواء أكانت جهاز النطق، أو الاذاعة، أو الصحيفة؟

وماذا عن الرسالة اذن؟ عن ماهيتها، وعن وظيفتها؟

ان اللغة مرتبطة بالرسالة. واللغة هي مادة الرسالة، هيولاها، لا أداتها. والمادة لها بذاتها فعل، أكثر من كونها أداة.. «فالى جانب كون اللفظة رمزا. فان سامعها أو قارئها يختبر شعورا، أو تداعيا فكريا ناشئا عنها»[٦]. فاللغة إذن ليست أداة جاهزة، بل بالعكس، هي «تلك الحادثة التي تملك بين يديها أعلى امكانيات الوجود الانساني» على حد تعبير هيدجر[٧]. والاشارة الى أنها «حادثة» تؤكد ما وصل اليه علماء اللغة، والاجتماع، من ان «اللغة بنت المجتمع» بمعنى أنها حادثة ولدت فيه، برموزها الصوتية التي تواضع الناس عليها، داخل المجتمع، وهي بالتالي: إرادية، سمعية، مكتسبة لا فطرية، تصدر عن قصد، لا عن طريق آلي[٨]. ألا يعني هذا انها تفكر أو أنها شرط أساسي للفكر[٩] الذي لا يكون في غيابها، ولذلك صارت خاصية إنسانية لان الانسان وحده يفكر، وولدت داخل المجتمع، ومن خلاله لان الانسان هو الكائن الاجتماعي الوحيد، وامتلاك اللغة يميزه عن الحيوان[١٠] لأنها - مرة أخرى - تحدد بصفة أساسية بحتة، محتوى الفكر؟[١١]

ان المحصلة المنطقية لكل هذا تجعلنا نعتبر اللغة مادة: هي مادة للتفكير، وبالتالي مادة للتعبير، ومادة للاتصال، لا أداة، وبذلك نعطيها قيمتها الاجتماعية التي تستحقها، وهي قيمة يمكن أن تتفق مع

التطور العربي القديم لتعريف اللغة - حين نحذف المعنى التعسفي للتعبير - مما يشير الى المدى العميق الذي وصله العرب في دراسة لغتهم، واللغات التي عرفوها..

واللغة ليست مادة جاهزة، وانما هي مادة أولية، مثل رموز الرياضيات التي قد تتحول الى معادلات مختلفة، ومثل رموز الكومبيوتر التي قد تتحول الى برامج، يغذى بها الجهاز، الآلة، أو الاداة، أو الوسيلة. وهي بذلك ليست وعاء للثقافة بل ما يحتويه هذا الوعاء لأنها المادة التي تملأه.

وباعتبارها مادة أولية، فان اللغة لا تعني شيئا، الا بعد تشكيلها، سواء أكانت أنجدية صوتية، كما عرفها انسان ما قبل التاريخ، أو أنجدية مكتوبة، بعد اكتشاف الكتابة، الذي بدأ معه التاريخ. وهي مادة أولية فريدة، لأنه ليس هناك غير الأنجدية الصوتية التي تطابق حروفا بلا أي معنى دلالي، على أصوات بلا أي معنى دلالي»[١٣] انها لا تخرج عن كونها بضعة «رموز جامدة لمادة الكاتب كلها، ولعمليات الاتصال الانسانية»[١٣]. وهي بالتالي تنتظر وسيلة الاتصال، حتى تعطيها الحياة التي تنطلق من علاقاتها، ولعل هذا الواقع هو الذي حدا بمارشال ماك لوهان الى القول: «ان الوسيلة هي الرسالة»[١٤] بمعنى ان قدرة الوسيلة على خلق العلاقات بين رموز اللغة، هي التي تحيل المادة الأولية في اللغة الى رسالة، ذات معنى وهدف.. وكان ايمان ماك لوهان بهذه المقولة وراء تأليف كتاب حمل العنوان ذاته، وأضاف اليه عنوانا فرعيا يصفه بأنه «اختراع للمؤثرات»[١٥].

اللغة اذن مادة أولية قابلة للتشكيل من خلال بناء علاقة بين الحروف لتشكيل ألفاظ ذات دلالات.. وعلاقة بين الألفاظ لتشكيل الجمل - المفاهيم. والوسيلة هي أداة التشكيل. وضمن هذا التسلسل يمكن أن نقبل تعريفا حديثا للغة، بعد تغيير بسيط فيه، يتفق مع ما وصلنا اليه. فاللغة «منظومة مؤلفة من أصوات منطوقة - لها رموز مكتوبة - مترابطة وفقا لقواعد بنائية معينة - حتى تكون المادة الأولية للاتصال - الفكري والعاطفي بين الناس»[١٦].

هذه المادة الأولية، القابلة للتشكيل، قابلة للتغير ايضا، بتغير الوسيلة، إضافة الى ما يعتريها من تغير، كظاهرة اجتماعية، تبعا لتطور الشؤون الاجتماعية»[١٧].

•• في الداخل والخارج

رموز اللغة - بذاتها - تكاد لا تعني شيئاً.. لأنها في الأصل لا تحمل معنى، الا اذا قامت بينها علاقات. لكن هذه الرموز «واضحة، مرنة، قابلة لانتاج قواعد جديدة»[١٨] عندما تحيلها العلاقات للتعبير عن مدلول اجتماعي. ان الحياة تدبّ فيها من خلال هذه العلاقات التي تحيل الاشارة الى مدلول، يدخل في النسق الاجتماعي ويعايشه.

لقد قيل - مجازا - ان اللغة كائن حي، ويبدو أن منطلق هذه المقولة يستند الى وجود اللغة في المجتمع او استخدامها فيه، بتعبير أدق، مما يجعلها تتأثر بما تتأثر به كل الظواهر الاجتماعية، من ولادة، وتغير مستمر، وموت.

والتطور مبدأ أساسي في النسق الاجتماعي، يمكن تعميمه على كل ظواهره، بما في ذلك اللغة، لأن «ممارسة اللغة»[١٩] في المجتمع حياة فيه، تحوّلها إلى جزء من الحركة الاجتماعية، التي لا تعرف الثبات.

إن «حياة» اللغة لا تكون من خلال رموزها، وانما من خلال تراكيب جديدة تشير إليها هذه الرموز، فالحرف - بذاته - ليست له من الحياة الاجتماعية الا ما يمكن أن يحدث من تغير في بنائه الصوتي بسبب البيئة، أو الوراثة، بينما تشير الكلمة - عادة - إلى مدلول.. وعندما تتسع العلاقات، لتكون بين الكلمات، يتسع المدلول ذاته، ويصبح تفاعله مع المجتمع أقوى، لأن «المفردات الخاصة ليست سوى مظهر واحد من مظاهر الدور الذي تقوم به اللغة.... فهناك بالطبع طريقة تركيب الجمل، وأسلوب الترابط بينها قواعديا ومنطقيا»[٢٠].

ان الأسلوب هو البناء الاجتماعي للغة، والأسلوب «اختيار نماذج قواعدية، وتسلسل هذه النماذج، واختيار المفردات اللغوية، وتجنب الأخرى لزوما»[٢١].

هذا الاختيار يعتبر واحداً من أهم أسباب التغير في اللغة. انه اختيار اجتماعي، يخضع لعدد من العوامل التي تغلب نموذجاً على نموذج، أو مفردة على مفردة. وفي الظروف الاجتماعية المتغيرة مع الزمن، يصبح الاختيار ذاته متغيرا. وفي الاختيار إمكانيتان: القبول، والتجنب. والقبول يعني بقاء النموذج أو المفردة في الممارسة، وفي الحياة، بينما يعني التجنب غيابها عن الممارسة، وموتها.

ان هذا الاختيار حركة مستمرة، تنفي الثبات والسكون عن أية لغة[٢٢] كما تنفي الثبات والسكون عن أي عنصر من عناصر اللغة، لأنها جميعا قابلة للقبول أو التجنب، سواء أكان ذلك في النماذج أو في المفردات. فالتغيير يصل في اللغة الى «أصواتها وقواعدها ومتنها ودلالاتها»[٢٣]. ولعل من الأمور الواضحة التي تمكن ملاحظتها ان اللغة العربية اليوم «لم تعد اللغة التي يعرفها الباحثون في التراث العربي القديم، فقد أصابها كثير من التغيير، في معجمها، وفي طريقة بناء الجملة فيها»[٢٤] وهو تغيير فرضه تغير الحياة ذاتها، وبالتالي تغير اللغة للتعبير عما جدّ فيها.

والتغير، في معظمه، يحدث من خلال ارتباط اللغة بالمجتمع، وممارستها لوظيفتها التعبيرية التواصلية فيه. فاللغة كظاهرة اجتماعية مكتسبة، تنطبق عليها المبادىء التي تنطبق على الظواهر الاجتماعية عامة[٢٥]، واذا كانت حياة الانسان، كما يرى فيرث، «تتطلب منه القيام بأدوار مختلفة، ومعايشة مواقف متنوعة، مما يفرض عليه تكيفا لغويا مع هذه الأدوار والمواقف»[٢٦] فان هذا التكيف هو الذي يربط اللغة بحياة الانسان في مجتمعه، في سكونها، وحركتها، وفي تجددها، وجمودها أيضا، لأن «مثل الكلمة كمثل الحياة التي هي امتداد لها»[٢٧].

والتغير مركب، مثلها الظاهرة الاجتماعية نفسها مركبة، ومثلها اللغة، كظاهرة اجتماعية، مركبة أيضا. واذا كان التغير الذي يلحق بالرموز الأولية - الصوتية - خاضعا لعوامل فيزيائية طبيعية،

لان الانسان جزء من الطبيعة، ولعوامل فيزيولوجية. لأن الانسان كائن حيواني، ولعوامل نفسية، لأن الانسان كائن مفكر، الا أن مثل هذا التطور يكون بطيئاً اذا ما قيس بالعوامل الأخرى، الخارجية المكتسبة.. التي قد تعمل ببطء مرة، وقد تعمل بسرعة مرة أخرى، وهذه العوامل مرتبطة بالاتصال، الوظيفة الأساسية للغة.

ان اللغة تنتقل - في الأجيال - عن طريق المحاكاة، وهي في الغالب لا تكون متطابقة، مما يفتح احتمال التغيير، كما أن ميل الانسان «إلى الاقتصاد في الجهد»[٢٨] يغلب هذا الاحتمال، مع مرور الزمن، إضافة الى ما للفروق الفردية من آثار، في التغيير أولا، ثم في نقل هذا التغيير بالاتصال ثانيا.. وهذا التغيير البطيء قد يكون مستمرا، إلى الحدّ الذي يجعل اللغة ذاتها تنتقل من نظام لغوي الى آخر، كما حدث للفرنسية لدى انفصالها عن اللاتينية.

والاتصال لا يكون معزولا داخل المجتمع ذاته، وبين أفراده - أصحاب اللغة الواحدة - وحسب، وانما يمتد ليصبح اتصالا بالمجتمعات الأخرى، وباللغات الأخرى، بدرجات متفاوتة. فالمجتمعات المتجاورة - مثلا - يكون التأثير المتبادل بين لغاتها قائما، خاصة اذا كانت تنطلق من أساس لغوي واحد، وهذا واضح في عدد الكلمات المشتركة بين اللغات في منطقة متجاورة المجتمعات (العربية، الفارسية، التركية) كما هو واضح في وجود العديد من المفردات الهندية في لهجات منطقة الخليج العربي، بسبب الاتصال التجاري عبر العصور.

ولكن هذا التأثير قد يكون كبيرا في أوقات معينة، فاذا كان التأثير المتبادل بين اللغات المتجاورة يظل ضمن الاضافة المعجمية، فانه قد يزداد، حتى يصبح تأثيرا في البناء والقواعد، نتيجة ظرف سياسي. كما حدث عندما توحدت اللهجات العربية، في لغة قريش، مع ظهور الاسلام، وكما أصبحت لغة أثينا هي اللغة السائدة في بلاد الاغريق، بعد أن توحدت تحت سلطة مقدونيا[٢٩]. كما ان مجرى التغيير في حقل اللغة يكون أكثر اندفاعا وسرعة أثناء سيطرة أمة على أمة، ذلك أن لغة الغالبين.... قد تقضي على لغة الشعوب المغلوبة[٣٠]. اذا لم تكن هذه اللغة قادرة على الصمود.

والتغيير يحدث - بطيئا أو سريعا - في جزئيات اللغة، وكلياتها.. يحدث في المادة الصوتية، وفي القواعد الصرفية والنحوية، وفي المعجم. الذي يعتبر أقلّ صلابة، واكثر قدرة على الاقتباس أو المقايضة.. وبالرغم من «أن كل لغة لها نظامها الفريد، الذي يختلف عن أية لغة أخرى»[٣١] الا أن التغير لا بد وأن يلحق بكل لغة، لأن التطور في اللغة عالمي ومستمر ومنتظم،[٣٢] حتى ولو كان بطيئا يصعب الاحساس به.. في بعض الأوقات لأن «إيقاعه يختلف باختلاف الظروف»[٣٣].

مثل هذا التغير نستطيع أن نلاحظه بقليل من التأمل في بعض بديهيات اللغة، وبعض مظاهرها. فنحن نستطيع ان نلاحظ ان «معاني المفردات لا تكاد تستقر على حال، لأنها تتبع الظروف والأحوال المتغيرة التي يمرّ بها الفرد أو المجتمع»[٣٤] واللغة غير قادرة على مقاومة هذه الظروف، وهي بالتالي غير قادرة على الثبات والاستقرار، لأن اللغة بحد ذاتها ليست الا مادة أولية، قابلة للتشكيل، فهي في الفن - مثلا - ليست فنا، وانما «اختيارها هو الذي يعطيها الأسلوب حتى يرتفع بها إلى درجة الفن في الشعر والدراما والنثر الفني»[٣٥].

وإضافة الى الاختيار الواعي في هذا المجال، تدخل العادات والقيم كطرف أساسي في القبول، والاستبدال.. فكثرة «استعمال الكلمة في مدلول ما، لحدوث ما يدعو إلى ذلك في شؤون الحياة الاجتماعية، وما يتصل بها، يجردها - مع تقادم العهد - من مدلولها الأصلي، ويقصرها على الناحية التي كثر فيها استخدامها»[٣٦].. فكلمة بريد - مثلا - لم تعد تعني الدابة التي تحمل عليها الرسائل، وكلمة اليأس لم تعد تعني الحرب، وهكذا. وينطبق هذا الأمر على الاستعمال المجازي للكلمة، الذي يؤدي في الغالب الى انقراض معناها الحقيقي وحلول المعنى المجازي محله، فهكذا صارت الوغى تدل على الحرب بدلا من أصواتها، وصار المجد لا يدل على امتلاء بطن الدابة بالعلف.

كما أن القيم الشائعة داخل جماعات بعينها، كثيرا ما يعبر عنها بالالفاظ اللغوية الشائعة لاستعمال بين أعضائها[٣٧] لدرجة أن بعض هذه الجماعات قد تشكلت لها لغات خاصة[٣٨] كما هو الحال لدى رجال القانون، والأطباء، ورجال التعليم والاقتصاد، والعلم، إضافة الى بعض أصحاب الحرف. «وهذا النوع من اللغة ينمو وينتشر لتوفير عبارات تعطي احتياجات لغة خاصة، حقيقية أو متصوّرة، عند الجماعات المعينة»[٣٩].

ولا يتوقف الأمر هنا عند الألفاظ، وانما يتعداها إلى التركيب لأنه «إذا صار التركيب المستعار مثالا يحتذى، وفرض على العقل صورة كلامية معينة، كانت اللغة، في هذه الحالة، قد أدخلت في نظامها وسيلة صرفية جديدة، وقد يصل الأمر باللغة إلى إقصاء وسيلة سابقة»[٤٠].

والنتيجة هي: أن اللغة تتطور، وان تطورها حتمي، لا يمكن إيقافه، وان كل لغة لها ظرفها الخاصة في التطور، وأن هذا التطور يتم من خلال الاستعمال، أو الإهمال، ويشمل كل عناصر اللغة..

ولما كانت اللغة فعلا في المجتمع، فان استعمالها يعني الاتصال.. وللاتصال وسائله القديمة والحديثة، التي تعتبر اللغة مادتها، فتؤثر من خلالها وتتأثر.

فالى أي مدى يمكن لهذه الوسائل أن تؤثر على بنية اللغة، وإلى أي حدّ يمكن أن تختلف اللغة في الوسيلة المحدّدة، عن اللغة ذاتها، في الوسيلة الأخرى؟

لقد سبق أن أشرنا إلى مقولة «ان الوسيلة هي الرسالة» وأن وصلنا الى نتيجة مؤداها ان الرسالة هي مدلول اللغة التي تعبر عنها، على اعتبار أن اللغة هي المادة الأولية التي تتشكل منها الرسالة. ولما كانت وسائل الاتصال تختلف، باختلاف أساليبها، واهدافها، فان النتيجة المنطقية لذلك هي ان لغة كل وسيلة تختلف عن لغة الوسيلة الأخرى، لأن كل وسيلة تشكل مادتها الأولية بالشكل الذي يناسبها، ويجعل قدرتها على توصيل الرسالة أفضل..

ومن هذا يصبح اعتبار «كل وسيلة».. «لغة» من اللغات، تستخدم رموزاً مميزة في توصيل رسائلها الى الجمهور[٤١] أمرا يستحق التأمل، كما ان اشارة ادموند كاربنتر إلى ان «وسائل الاتصال لغات جديدة»[٤٢] تدخل في هذا السياق. فاذا كانت «الرموز» التي تستخدمها وسائل الاتصال اللغوية متشابهة كأساس، فان خلافات لا بدّ وأن تطرأ عندما تتحول هذه «الرموز» الى أساليب تناسب الوسائل المستخدمة في نقل المفاهيم، فتنشأ بالتالي «لغة» لكل وسيلة، قد تلتقي كثيرا مع «لغة» الوسيلة الأخرى، ولكنها لا بد وأن تختلف بدرجة أو أخرى. وبهذا نصل الى تحديد أساسي، يمكن أن تتولد من خلاله نتائج. هذا التحديد، كتطبيق لما سبق، يقول: ان كل وسيلة من وسائل الاتصال لها لغتها الخاصة، فالاعلام له لغته الخاصة إذن والأدب له لغته الخاصة أيضا.. واذا كان الأصل يستند إلى لغة واحدة، فان المحصلة بعد ذلك تكون في وجود فروق أساسية بين لغة الاعلام، ولغة الأدب، تنبع من استعمال اللغة في كل منهما، بأساليب مختلفة، ترمي إلى أهداف مختلفة أيضا..

وحتى نصل إلى تحديد ما لهذه الفروق، لا بدّ لنا من الاشارة إلى الأساليب، وإلى الأهداف، التي تتشكل بها، ومن أجلها، الرموز الأولية للغة.. لتصبح ذات معنى، وفاعلية.

•• من قبل:

إن الهدف الأساسي من الاتصال هو التأثير: تأثير المتصل، بمن يتصل به من خلال الرسالة التي يوصلها إليه. ووسائل الاتصال ليست الا محاولات متطورة عبر الزمن لتسهيل إحداث هذا التأثير.

والوسائل في مجملها، محاولة لتوسيع قدرة الانسان على الاتصال، عبر الزمن، وعبر المسافات. فكل «وسائل الاتصال امتدادات للملكات الانسان الجسدية أو النفسية»[٤٣]. وقد كانت محدودة أول الأمر بالاشارات الحركية أو الصوتية، وعندما تشكلت اللغة، صارت امتدادا لصوت الانسان، ولكنه امتداد محدود المكان محدود الزمان[٤٤].. لا يرضي طموح الانسان الى ابلاغ رسالته الاجتماعية. فكانت الاذاعة امتدادا له، جعل المكان أكثر امتدادا، وجاء التسجيل ليفعل الفعل نفسه في الزمان.

وأمام محدودية وسائل الاتصال قديما، كان تشابه اللغة فيها واضحا، بل إن بعض الاستخدامات كانت مختلفة.. فالشعر العربي - مثلا - رغم كونه أحد الفنون، كان وسيلة اعلام فعالة أيضا، لأن الصوت الانساني كان وحده وسيلة الاتصال، ولذلك اعتبر الشاعر العربي صحيفة قبيلته، كما اعتبر اذاعتها - بتعبير احدث - وكانت القبيلة حريصة على وجود الشاعر لديها، كصوت اعلامي مؤثر، وكانت تضعه في المكانة الممتازة، لأن بيتا واحدا منه كان يرفع من قدرها، وبيتا في عدو لها كان يحطّ من قدره..

والى جانب الشعر، كانت هناك الخطابة، وهما معا يعتبران من أقدم وسائل الاعلام في المجتمعات الانسانية. فعند العرب، كان الشعر يؤدي الى حد كبير مهمة الصحافة والاعلام في عصرنا، «فشعراء الأمس ليسوا إلا رجال إعلام وصحافة، ولنا من الشعر السياسي والاجتماعي أصدق أمثلة على ذلك، فهو صحافة ملتزمة، واعلام هادف، إن جاز التعبير، حيث غدت كلمة الشعر في الرأي، يومذاك، نافذة قوية تؤثر فيه وتوجهه، كما تؤثر الصحافة في الرأي العام وتوجهه في أيامنا هذه»[٤٥]. أما في اليونان القديمة فقد «وضعت قواعد للخطابة الناجحة واغراء السامع»[٤٦] كما درست آثار الخطابة السياسية فى رومل، القديمة.

لكن الأمر ظل يتغير، مع اختراع وسائل جديدة للاتصال، تقوم بمهمة الاعلام وتترك للأدب مهمة أخرى مختلفة. ومن المعروف انه كلما زاد الاتصال، زاد تغير اللغة[٤٧] وزاد ميلها الى التخصص. وقد زادت وسائل الاتصال طاقة وتنوعاً في العصر الحاضر بحيث استطاع الاعلام الحديث أن يحول العالم الى قرية[٤٨]. ولأن «الوسيلة هي الرسالة» فان وسائل الاعلام، ورسائله، قد استقلت عن الأدب، بالتدريج.. فصارت» هناك أساليب مختلفة للغات المستعملة في الأغراض المختلفة» واذا كان «كل ما نفعله موسيقي» على رأي جون كيج[٥٠]، فان الأحرى أن يكون كل ما نقوله - أو نكتبه - لغة، موسيقى، وأن كل وسيلة من وسائل الاتصال، لها موسيقاها الخاصة، وانها في الاعلام تختلف عنها في الأدب.

ولعل هذا يشير إلى بعض الخلل في فهم طبيعة الأدب، واختلافها عن طبيعة الاعلام - لغة وأهدافا - لدى بعض الدراسات التي أصرت على أن تجعل الشعر وسيلة اعلامية معاصرة[٥١] أو أن تعتبر «الصحافة ملتقي مصابّ الكتابة جميعا»[٥٢].

صحيح ان هناك بعض التداخل بين وسائل الاعلام والأدب، ولكن هذا التداخل لا يزيد عن كونه نقلا. فوسائل الاعلام تقدّم الأدب، وهي قد تفعل ذلك دون أن تغير في صورته، كما هو الحال في الصحافة الأدبية، أو الصحافة التي تنشر الأدب، كما قد تفعله بعد أن تخضع الأدب لمقاييسها، كما في بعض الأحاديث الاذاعية، أو مقالات النقد، أو كما يحدث غالبا في تطويع الكتابات الروائية للرواية التليفزيونية وفي مثل هذه الأحوال يكون التأثير متبادلا بين وسيلتي الاتصال، فلا الرواية - مثلا - تبقى كتابا، ولا وسيلة الاعلام (التليفزيون) تفرّغها تماما من لغتها ومحتواها.

لكن هذا التداخل، الذي قد يخلق في المستقبل، نماذج جديدة من وسائل الاتصال، ليس هو مجال بحثنا. ان البحث يتعلق بالاعلام، وخصائص لغته، والأدب، وخصائص لغته، في حالة كل منهما المثالية. وفي هذا الاتجاه نؤكد على أهمية من يستخدم اللغة في كل مجال[٥٣]، وكيف يستخدمها، لنشير بعد ذلك إلى أن الخلل في الفهم انما يكون في جزء كبير منه نتيجة لممارسة مهنة اليوم بأدوات الأمس، ومفاهيمه[٥٤].

فما هي أدوات الاعلام المعاصر، ومفاهيمه، وما هي أدوات الأدب ومفاهيمه.. وكيف سارت بها هذه الأدوات والمفاهيم حتى خلقت بينهما فروقا في اللغة؟

•• لكل حقيقته:

تقع الذات الابداعية كمركز هام في العملية الابداعية[٥٥]، ثم تتجه الى الآخر، من خلال عملها الابداعي الأدبي في مجال بحثنا، بينما تبدأ العملية الاعلامية من الآخر، لتتجه إليه بعد ذلك.

نقطة الانطلاق هذه تميز الأدب عن الاعلام، بدءا من القصد، وانتهاء الى الأسلوب.. فالاعلام تعبير موضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في الوقت نفسه، وهو ليس تعبيرا ذاتيا عن شخصية رجل الاعلام، وانما يقوم على الحقائق[٥٦]، وهو يهدف الى التأثير على موقف الكائن الانساني ودفعه الى التصرف على نحو معين[٥٧]، وهو يسعى الى ايقاظ وتنوير الناس من خلال تزويدهم بالأخبار والحقائق والمعلومات، وما يدور من أحداث ووقائع[٥٨]، وهو حين يهتم بنشر الحقائق والأفكار والآراء... يهدف إلى التفاهم والإقناع وكسب التأييد[٥٩].

الاعلام إذن، يبدأ مع الناس من حيث هم، وينشر مادته، التي تحمل أهدافها من أجل أن تعلمهم، فيتغيروا. فالاعلام من هذا المنطلق علم تطبيقي، يستند إلى علوم كثيرة في معرفة اتجاهات الناس، ويستفيد من الخدمة الاجتماعية والنفسية في تغيير هذه الاتجاهات وفق هدف محدد.

الاعلام إذن مهنة، ورجل الاعلام يمارس مهنة لها أساليبها الخاصة، التي تحتاج إلى الذكاء كما تحتاج إلى الدراسة والممارسة.

أما الأدب، فهو «بناء لغوي يستغل كل امكانات اللغة الموسيقية والتصويرية والايحائية والدالة، في أن ينقل إلى المتلقي خبرة جديدة منفعلة بالحياة»[٦٠] وهو يستهدف التكوين المعنوي للكائن البشري[٦١]، ومؤثراته تتبع من داخل الأديب، أما المؤثرات الاجتماعية فتصبح حقائق ثابتة من مكونات الأديب أولا[٦٢]. والتعبير الأدبي ليس هدفه تعدد حقائق ولا تقرير وقائع، بل نقل موقف عاطفي[٦٣].

الأدب إذن فن، ورجل الأدب فنان يمارس فنا له أساليبه الخاصة التي لا تكتفي بالذكاء والدراسة والممارسة، وانما تحتاج الى موهبة الفنان، لأن «الذكاء المحض قد يكون وسيلة اتصال تؤدي الى الاقناع. ولكن الذكاء في الكتابة الأدبية يجب أن يكون عاملا مساعدا للحساسية[٦٤]، التعبير المادي عن الموهبة».

«وظيفة الفن في المجتمع، مختلفة تماما عن وظيفة المهنة.. واختلاف الوظيفة يؤدي الى اختلاف الاداء.. وبالتالي الى اختلاف اللغة مفردات وأساليب، خاصة وان وظيفة الأدب تفرض عليه اتصالا بفئات تختلف عما تفرضه وظيفة الاعلام، ولأن اللغة، هي مادة الاتصال، فان الاختيار لا بد وأن يكيفها، لتصبح مناسبة لنقل الرسالة، بين المرسل والمتلقي.

• ومنا إلى:

لعل رسالة الاعلام، حين تتوجه بخطابها تقول: أنا أعرف ما أنت فيه من واقع فتعلّم. أما رسالة الأدب فتقول: أنا أعرف نفسي فيك، فتأمل.

وبين أن يتعلم الانسان ما يقدم إليه، ويقتنع به، ويقبل من خلال القيام بعمل، أو الامتناع عنه.. بين ذلك، وبين أن يتأمل ذاته من خلال ذات المرسل التي تكشف عنها الرسالة، لأن الكتاب صوت شخصي[٦٥]. مسافة في الزمن، والتعلم، والمعرفة، والوعي، هي المسافة التي تفصل قارىء الأدب عن متلقي الرسالة الاعلامية. فمن «النادر أن يكون الموضوع الأدبي له قيمة بالنسبة لكل الجماهير في نفس الوقت، فالعمل الأدبي عادة يخاطب جمهورا له ثبات نسبي»[٦٦] والادب أسلوب تكتبه طبقة متعلمة لتقرأه طبقة متعلمة»[٦٧] لأسباب اجتماعية، بينما يكون الاعلام لكل الطبقات، لذلك يبدو واضحا ان الانسان هو الذي يسعى الى الأدب، بينما يسعى الاعلام الى الانسان. وبسبب اختلاف طبيعة الاتصال، فان لغة الاتصال تختلف. ان الاتصال اختيار في حالة الأدب، اختيار من المتلقي، بينما هو فرض من المرسل في حالة الإعلام، لذلك فإن الأدب يملك حريته في أن يختار كلمته، بينما تكون لكلمة الاعلام شروط مسبقة: أن تكون مفهومة من قبل كل من تتوجه إليهم في المجتمع: كل الناس، إذ أن «كلما اتسع الجمهور وتباين أفراده، دعت الحاجة إلى لغة أكثر شمولا»[٦٨] وهذا يفترض اهتماما باللغة التي يفهمها كل الناس، الذين يختلفون في المهنة والسن والتعليم والثقافة، لأننا لا يمكن أن نكسبهم ونحتفظ بهم على أساس الاهتمام بالموضوع فحسب[٦٩].

لغة الأدب إذن مختارة، شخصية مختزلة، فعمق التجربة الأدبية لا يتضح الا من خلال أقل عدد ممكن من الكلمات، خاصة في الشعر[٧٠] وهي لغة راقية[٧١] تتسم بثبات نسبي، لأن تغيرها أقل من غيرها[٧٢] لأن من المعروف ان وجود الأدب في المجتمعات الانسانية يشكل عائقا لعملية التغير[٧٣]، دون أن يمنعها كليا.. بينما تتجه لغة الاعلام الى الاستفادة من اللغة المحكية، في محاولة للاقتراب من الناس، وكثيرا ما تدخل فيها اللهجات[٧٤].

ربما لهذا السبب كانت لغة الاعلام أسرع تطورا، وان كان تطورها لتأدية المهنة ينبع من الأهداف التي تضعها في خططها وتحاول من خلالها أن تصل الى أكبر قطاعات المجتمع، لتؤثر فيها. وهذه الأهداف، التي تشكل عوامل نجاح الاعلام، أو مقومات الاعلام الناجح، تهتم باللغة، فهو اعلام يتسم بوضوح المنهج، ويعتمد الصدق في مخاطبة الجماهير، ويعبر عن هذه الجماهير بأبسط السبل المفهومة والمقنعة[٧٥] كما أنه يعتمد على عامل التكرار، والاستمرار، والتغيير[٧٦] بما يناسب حال من يتوجه اليهم. ولغته وتوجيهية. دقيقة في التعبير، مفهومة «لأنها لا تكون فاعلة اذا كانت أعلى من جمورها في الوقت الذي يتم فيه الاتصال»[٧٧].

ولعل مفتاح التعرف على لغة الاعلام يكمن في التعرف على الجمهور الذي تتجه إليه، في زمان محدد، ومكان محدّد. يحددان معا المستوى الثقافي لهذا الجمهور، واهتماماته، وامكانيات التغيير لديه. ولما كان المستوى الثقافي يخضع لعاملي الزمان والمكان، ولما كانت وسائل الاتصال الاعلامي تتغير، فان لغة الاعلام نفسها تخضع لهذا التغير أيضا.. حتى لا تفقد صلتها بالناس.

•• الطريق العام:

لقد أصبحت للاعلام أهميته الكبرى في العصر الحديث، فاعتبره المؤتمر الذي عقد في كاندي بسري لانكا في ابريل ١٩٧٦ بأنه «عامل اجتماعي وليس سلعة تجارية» واوصى بأن «يمكن المواطنين من الفهم الشامل لواقعهم بكامل أبعاده، حتى يمكنهم من أن يتفهموا

تفهما كاملا العمليات السياسية والاقتصادية، وكذلك الصراعات الكافية بالنسبة لهم على المستويين، الوطني والعالمي، وبهذا تدعم قدراتهم على المشاركة في عمليات اتخاذ القرار». وأشار الى ان «الاعلام في نفس الوقت ضرورة اجتماعية، وعنصر لا غنى عنه للممارسة الكاملة لحقوق الانسان، ومن هذا المنطلق.. يجب أن يصبح اداة للتحرر بالنسبة للمضطهدين، وأن يكون بالنسبة للدول الصناعية وسيلة يمكنها بها أن تحرر نفسها من كافة الانحيازات العرقية التي تسودها الآن»[٧٨].

هذه الأهداف تشير إلى المساحة الانسانية التي يفترض في الاعلام أن يغطّيها، وهي بالتالي تشير إلى ضرورة وجود لغة تستطيع ان تغطي هذه المساحة، وتساعد على الفهم. فأية لغة تلك، التي تستطيع، اذا لم تكن نوعا من الرموز السهلة، القادرة على التعبير. من أجل جمهور مشترك غير متجانس.

لقد بحث الاعلام الحديث عن هذه اللغة حقا.. فأخذت تتقن، حتى تقاربت اصطلاحاتها، وأساليبها. لقد اختار الاعلام ألفاظا ذات دلالات قاطعة، لا تحمل الاشارة التي تدل على المعنى، وتتجنب ازدواجيته[٧٩]. وأخذت هذه الألفاظ في المواقف المتشابهة، وتحولت اللغة الاعلامية إلى لغة عامة، وأصبح التكرار إحدى سماتها. وفي مجال التدليل على أهمية التكرار يروي أريك بارنو[٨٠] ما حدث عندما طرح مشروع للدستور في الولايات المتحدة قبل انتخاب جورج واشنطن رئيسا، وهاجمه الناس.. ولكن كاتبين نشرا ٦٥ مقالة في صحف مختلفة، تزكي الدستور، فنجح.

وترتبط لغة الاعلام بالحياة اليومية للناس، وتأخذ منها، وهي حين تقدم معلوماتها تقدمها مرتبطة بحاجات الناس ومطالبهم، ولذلك تتغير مع هذه الحاجات والمطالب، في المعجم، وفي الصيغ أيضا، لانها تختار الألفاظ التي تؤدي المعاني المقصودة بدقة، وتقصد إلى الجمل القصيرة، والبسيطة التركيب. وقد أشار راندولوف كويرك إلى التطور الذي حدث في الأساليب الاعلامية، فاشار إلى ان الصحافة تسير الى التشابه في أساليبها، كما ان الاذاعة قد تغير أسلوبها في التوجه الى الناس. فصار المذيع «يبلغ الأخبار، ولا يقرأها»[٨٢] مما أدى إلى تغير في اللغة، بدءا من تغير القواعد في العناوين، فصارت جملا دون افعال (اسمية) أو جملا غير كاملة، أو جملا عامية.. لدرجة ان أحد مستمعي الاذاعة البريطانية وصف لغتها بأنها «لغة فقيرة»[٨٣].

ولما كانت المهنة هي صفة رجل الاعلام، فان ليس غريبا أن تخضع مهنته هذه لعاملين، كما تخضع أية مهنة أخرى: العامل الأول هو «الأمتة»، التي تجعل مدى اتصاله أوسع باستمرار، وبذلك تجعله مسؤولا عن التوجه إلى جمهور يتسع باستمرار. والعامل الثاني هو التخصص، الذي يميل تدريجيا الى استخدام لغة جديدة، وصفت بانها «الأسلوب التلغرافي»[٨٤]. وهو أسلوب غير شخصي، يمكن أن يسمى بالأسلوب العملي، أو العلمي، في مقابل الأسلوب الأدبي..

هذا الأسلوب، أصبح من الممكن، بالاستقراء، تلخيص أهم سماته، التي تشكل بالتالي أهم سمات لغة الاعلام الحديث:

١ - الألفاظ فيه ليست مقصودة بذاتها، وانما بمقدار ما تحمله من دلالات. لذلك فهو يختار الألفاظ التي تعطي المعنى بدقة، ولا تكون خادعة، أو مجازية، فهو أسلوب صريح في التعبير عن موضوعه وواضح في اختيار أبسط الكلمات، لأن الكلمة ليس لها وزن الا بقدر ما تحمل من معنى.

٢ - يتأثر هذا الأسلوب بالعوامل الخارجية تأثرا سريعا، وهو يقترض مما حوله دون تردد، ومن كل المجالات التي تساعده في تحقيق مهمته الاخبارية، التفسيرية، التوجيهية، الترفيهية، التثقيفية، الاعلانية.. وهو في سبيل هذه المهمة يثري معجمه بالألفاظ العامية، والمعربة، ويدخلها ضمن نسقه اللغوي من ناحية التركيب (مثل اللامعقول) والاشتقاق (مثل أمرك).

ولا يقع هذا التأثر في الالفاظ وحسب، ولكن يدخل حتى في التراكيب اللغوية (لعب دورا هاما).

وقد أمكن حصر بعض الظواهر اللغوية التي أدخلها الأسلوب الاعلامي في اللغة.. واصبحت مقبولة فيه، ومن هذه الظواهر[٨٥].

أ - عدم مراعاة التذكير والتأنيث في الصفات، من ناحية المطابقة، كما تفترض قواعد اللغة (الشعب الثورة - اللغات الجسر - الأمة الامل).

ب - الاستغناء عن حروف العطف (مهمته الاخبارية التفسيرية.. الخ) وهي طريقة تقلّد اللغات اللاتينية الأصل، التي تضع الفاصلة بدلا من حرف العطف، الذي لا تضعه الا قبل المعطوف الأخير.

جـ - فناء كلمات وتراكيب كثيرة، واستحداث كلمات وتراكيب كثيرة، خاصة فيما يتعلق بمجالات العلوم البحتة والعلوم الانسانية. ولعل قراءة أية قصيدة جاهلية تكفي للاحساس بحجم الكلمات التي ماتت - من ناحية الاستعمال الحديث، وقراءة أية صحيفة تشير الى الكم الجديد من الكلمات المستحدثة والتعابير، وهي في الغالب معربة.

وقد أثرت التعابير المعربة على البناء القواعدي للغة الاعلام في حالات كثيرة حتى فيما هو غير معرب من ألفاظ تدخل في التراكيب، وصرنا نسمع أو نقرأ عطفا بين أداتي نفي (لم ولن) وصرنا نرى الفعل المبني للمجهول، وقد تبعه فاعله مسبوقا بحرف جر أو ظرف (قبض على اللص من قبل الشرطة) وصرنا نلاحظ حروفا تدخل في غير المواقع التي عرفت بها، وغير المعاني ايضا (لم يقبلوا حتى مناقشة الموضوع) وصار أفعل التفضيل في غير موقع التفضيل (أكثر من مرة) وكل هذه ترجمات لأساليب غير عربية[٨٦]. هذا بالاضافة الى استعارة بعض الصيغ العامية (أهلاوي) والتراكيب العامية (كان يقف لوحده).

٣ - يحتاج هذا الأسلوب الى مجهود عقلي لترتيب الافكار التي يرسلها للمتلقي بهدف اقناعه، لأنه أسلوب يعتمد المنطق السليم والفكر الواضح، بعيدا عن الخيال. ولذلك فانه يختار الجمل القصيرة الواضحة، ويكرر ما يلزم منها في سبيل الاقناع، وتقريب المعنى من الإفهام. وهو يعمد الى المباشرة، والدقة، والتقرير. ولذلك يعتبر أهدأ الاساليب اللغوية[٨٧]. أما الخيال فيدخل في ابتكار أسلوب الاتصال لا في مفرداته.

٤ - يتميز هذا الاسلوب بالموضوعية، أو ما يمكن أن يسمى بالصدق الموضوعي، لأنه يتجه الى نقل الحقائق لا نقل التجربة الذاتية، حتى وان اختار من هذه الحقائق ما يحقق أهدافه.

٥ - يتجه الى التشابه والعمومية والمشاركة، لأن «العامل الأساسي في نجاح أية رسالة إعلامية هو التشابه والمشاركة في الخبرات والأفكار»[٨٨] ولعل مما تمكن الإشارة إليه في هذا المجال وجود صيغ أو نماذج عالمية، للرسائل الاعلامية، يلتزم بها علاميون - كل في مجاله - كما هو الحال بالنسبة للخبر الصحفي أو الاذاعي مثلا. وهذه النماذج تجعل لغة الخبر تعتمد على مفردات بعينها، فلا يعيب تشابه الأخبار عمن يتابعها، رغم ورودها من مصادر مختلفة.

وهذا الاتجاه يفقد لغة الاعلام قدرتها على التفرد، خاصة إذا علمنا ان العمل الاعلامي عمل جماعي، وان المؤسسات الاعلامية تفرض نوعا من الوحدة على لغتها، وبذلك لا تكون هذه اللغة إبداعا فرديا. ولا يكون الأسلوب، أسلوبا شخصيا.

٦ - قابلية هذا الأسلوب للتطور أعلى من قابلية غيره، لأنه بسبب احتكاكه المستمر بالمجتمع، يكون أكثر مرونة، كما أن العوامل التي تدخل فيه، كلها قابلة للتطور، ولتطويره معها بالتالي (الموقف، العنصر البشري، الهدف، الموضوع، وسيلة التعبير).

وبسبب من مرونة هذا الأسلوب، تطور الاعلام بشكل واسع، من خلال إدراك قدرته على التأثير. واذا كان نهرو قد قال: إذا أردت ان تقنع شعبا، فعليك ان تخاطبه، ليس فقط بلغة لسانه، ولكن بلغة عقله وفكره[٨٩] فانه قد لمس أهم سمات الأسلوب الاعلامي، باعتباره أسلوبا عقليا لا عاطفيا.. قادراً على أن يغير الحياة، لأنه يعرض عدم تماسكها كل يوم، وتنوعها[٩٠] ويستطيع أن يركز على جزئيات هذا التنوع، أو أن يمزج بينها، كما استطاع كاسترو «أن يمزج الدعاية بالتعليم بالتربية السياسية ببراعة، بحيث يصعب في أغلب الأحيان ان نميز بينها»[٩١] فنجح اعلاميا.

إن الاعلام إذن، يأخذ الرموز الأولية للغة، مادتها. ويعيد تشكيلها وفق متطلباته وأهدافه... وهو بذلك يشترك مع الأدب في هذه المادة الاولية. فالى أي مدى **يفترقان بعد ذلك؟**

• • الطريق الخاص:

إذا كان الاعلام مهنة، تعتبر الكلمة إحدى مفرداتها اللغوية (لأن له مفردات أخرى، كالصورة والنغمة) وكان الأدب فنا للتعبير بالكلمة وحسب، فان فوارق في هذا التعبير لا بدّ وأن تجدّ، لأن للكلمة قيمة أعلى في الأدب، لا من خلال ما تؤديه من معنى وحسب، وانما من خلال وجودها بذاتها في السياق، كمادة صوتية أو تشكيلية.

والأدب فعل فردي، ينطلق من تجربة ذاتية، ليصبح جزءا من الذات، وليصبح التعبير عنه ذاتيا، يبدأ من الفرد، ليتجه الى المجموع، وهو غالبا ما يتجه اليه فردا فردا، بسبب فردية التعامل مع الكتاب[٩٢]، الوسيلة الاساسية لتوصيل الأدب.

هذه الأسس تجعل التعبير الأدبي مختلفا باختلاف صاحبه، فيتنوع في أداء الأسلوب، لتصبح المقولة الاعلامية (الوسيلة هي الرسالة) مقولة مختلفة تشير الى ان (الأسلوب هو الرجل). وهذا يعني أن أساليب التعبير الأدبي تميل الى التنوع، بينما تميل أساليب التعبير الاعلامي في الشمولية. والتنوع يعطي كل أسلوب خصوصيته المطلقة، بل يجعل هذه الخصوصية أحد شروط الابداع الحقيقي في الأدب، لأنه كفن، يسعى الى الابتكار، لا إلى التقليد، في استخدام مفردات اللغة، واكتشاف تعابير جديدة من خلالها.

ولأن اللغة واحدة - باستثناء ما يعتريها من تطور - فان البحث عن أساليب جديدة من خلالها يكون بحثا عما توحي به الألفاظ والتراكيب اللغوية. فلغة الأدب موحية لا مقررة. «وسؤال الأدب - الكتابة الإبداعية - ليس سؤالا حول المفردات، بقدر ما هو سؤال حول تركيب وهدف اللغة. إن المعنى (وبالتالي الاتصال) ليس معلبا داخل الكلمات.... انه اختيار للجمل، وموسيقاها، وسرعة تدفقها، وديناميكيتها واقتصادها وخيالها... والفهم التام بالقراءة يعني الاستجابة لكل هذه العناصر، لأن الكتابة الابداعية تعتمد على فهم الدور - الذي تقوم به اللغة - والقدرة على استدعائه في الاستعمال»[٩٣]. وهذا الدور ليس بحثا في حقائق الواقع، ولكنّه محاولة لخلق واقع جديد، يحاكي الواقع القائم، دون أن يقصد تجسيد أحداثه، وانما يعكس انفعال الأديب الحقيقي والذاتي بهذه الأحداث، من خلال إعادة تمثّلها، وإعادة صياغتها. في الأدب إذن، يفقد الحدث موضوعيته، لأن يصبح انعكاسا للتجربة على الذات، ثم خروجها منها إلى الواقع. ان الكاتب الأديب لا يكتب إلا من خلال تجربته، والكتابة الأدبية «تبدأ من الحواس، ويبقى أثر الحواس فيها ظاهرا»[٩٤]، فلا تتحول الى صيغ عامة وإحصاءات. وكل شخص تنقصه الحواس اللاقطة الحادة، والاستعداد لاستخدامها يصعب أن ينتسب الى الأدب، لأن هذه الحساسية هي وسيلته لخلق الصور، والصور وسيلته الوحيدة لجعل قارئه يحسّ ويسمع ويرى.

إن الصور هي وسيلة الاتصال بين الأديب وقارئه، وهذه الصور تتشكل في الذات الابداعية من خلال الالفاظ، وترسَل، ليقرأ المتلقي من خلالها. إن الصورة هي لغة الأدب، بدلا من المفردة أو الجملة، وهي تختزل إدراك الكاتب للواقع، ثم تنعكس على إدراك القارىء. شبيهة للمدرك الأول.

فالكاتب الأديب، لا يتعامل مع مفاهيم أو معادلات للفكر، وانما مع صور تولد من اهتمامه بالناس والأماكن والمشاعر، «ومنزله الأدبي لا يكون مقرا للأفكار، ولكنه منبع لها، لأن الأفكار يجب أن تنفذ من الشبابيك والا تملأ غرف المنزل»[٩٥].

وعندما يجعل إنسان أدبه مجرد أفكار، يدخل حافة «اللامقبول»... لأن الافكار، وهي تملي، تعظ، ولكنها لا تمتع أو تقنع، فالأفكار وحدها لا يمكن ان تكون دراماتيكية، ومن المفروض أن توضع في أشكال الناس والأحداث حتى تؤدي قوتها الطبيعية.. فاللغة في الأدب «تقطن» في الناس والأحداث حتى تؤثر، وماكبث على المسرح أهم من ألف موضوع عن الطموح، لأن الأدب أفكار «داخل اللحم والدم» لا داخل الكلمات وحسب...

مما يجعل لهذه الكلمات - اللغة - موقعا جديدا، شديد الخصوصية، لا في وظيفتها وحسب، وانما لدى كل من يستدعيها لتقوم بهذه الوظيفة. وبقدر ما تسير لغة الاعلام في اتجاه العمومية والتشابه، تسير لغة الأدب في اتجاه الخصوصية والتميز، فتصبح لكل أديب لغته، ويهتم كل أديب باختيار هذه اللغة، وبناء صورها الجديدة، حتى يصبح التكرار، الذي هو سمة في لغة الاعلام، ممجوجا في لغة الأدب - يوصف بالكليشيهات - وهي اصطلاح صحفي معتمد - كما توصف تعبيراته بأنها مستهلكة، الا اذا كان لهذا التكرار هدف بلاغي في خلق الصورة الأدبية.

ان الرموز الأولية في اللغة واحدة، ولكن قدرة كل أديب على توليد صوره الجديدة، وأساليبه الخاصة في التعبير، هي التي تعطي الأدب حياته، وتجعل مقولة عنترة «هل غادر الشعراء من متردم» في غير مكانها.

وبسبب أهمية إعادة تركيب الرموز الأولية اللغوية في صور جديدة مبتكرة، أصبحت اللغة - بداتها - قيمة عند الأديب، فلم تعد اللغة مقصودة لنقل المعنى وحسب، وانما هي مقصودة لذاتها، باعتبارها مكونا أساسيا من مكونات فنه، فاللفظ لم يعد مجرد أداة معنى وحسب، بل هو مفتاح الموسيقى العبارة. والأدب موسيقى مكتوبة وحدتها الكلمة بدلا من النغمة... ولذلك كانت للفظ قيمته الجمالية الخاصة، التي تنبع من ظلاله، ودلالاته الاستعمالية[٩٦].

اللغة اذن، كيان حقيقي مستقل في الأدب، جدير بكل عناية، فهي غاية في ذاتها، وشيء مقصود لذاته من حيث الاختيار والتراكيب، وهي ترفض الإلف الاستعمالي. وتجميدها عند حدّ الابلاغ[٩٧].

ولعلّ في تعبير «ظلال المعنى» مفتاحا حقيقيا لفهم لغة الأدب، وقدرتها على التطور من حيث الدلالات، لأن فعل الخيال في اللفظة يحيلها الى المعنى الرمزي الذي يشكل أحد عوامل الصورة الأدبية، وهو بذلك يبرز فيها جمالاً جديدا - غير مجرد - يمكن أن يصل الى المتلقي بالتأمل.... ان كتابة الأدب تحتاج «إلى التصرف في المعاني المتداولة، والتعبير عنها بألفاظ غير الألفاظ التي عبر بها من سبق الى استعمالها[٩٨]» كما فهم نقاد العرب قديما. فمهمة الأديب إذن، تجاه اللغة، تلمّس وجوه الشبه البعيدة بين اللفظة وما توحي به، لأن الأدب لا يقدّم المعنى بوضوح وموضوعية، وانما يترك للقارىء أن يصل اليه، ولذلك «تتطلب الكتب العظيمة محادثات عظيمة لإكمال معناها» كما يقول جريسوولد[٩٩]. ولذلك أيضا لا تكتفي اللغة الأدبية بالتطابق الدقيق بين الاشارة والمدلول، وانما يكون لها جانبها التعبيري، الذي لا يكتفي بالتقرير وانما يسعى إلى التأثير في موقف القارىء، حتى بالتشديد على الاشارة نفسها، وعلى الرمز الصوتي للكلمة[١٠٠].

ان الأديب الجيد هو الذي يستطيع أن يقبل تحدي اللغة له، حتى يستطيع أن يصل الى سحر الكلمات فيها لأن هناك «سحرا» في الكلمات عندما تستدعى بلمسة ناجحة من الخيال، كما ان للكلمات «ألوانا» قادرة على خلق التأثير، والمزاج، والأجواء، الخاصة بالشخصيات[١٠١]، وهو ذلك التأثير الذي ينتقل الى القارىء. ومن مهمة الأديب ان يصل الى سرّ هذه الكلمات، حتى يستطيع أن يكون قادرا على التعبير عن خصائص الأشياء بقسوتها ورقتها وحرارتها وبرودتها، ومن مهمته أن يكون قادرا على الاتصال بخصائص الأصوات والحركات، وحتى اللمحات الصغيرة في العيون والأيدي والأطراف، مما يستخدمه الناس في التعبير عن حالتهم العقلية أو العاطفية[١٠٢].. كل ذلك حتى يتمكن من خلق شخصيات متخيَّلة، تبدو وكأنها حقيقية، لأن «الأدب كلّه كذب، ومثل الكذب يجب أن يبدو صادقا، حتى يكون ناجحا» كما يقول بوشلر[١٠٣].

مثل هذه اللغة. توسع «الهوّة بين مفردات اللغة ومدلولاتها الأصلية، وتخلق لكل أديب شخصيته اللغوية الخاصة[١٠٤] التي كثيرا ما تبتعد عن لغة الواقع، أو اللغة العامة البسيطة التي يلجأ اليها الاعلام.

ومع محافظة الأديب على قواعد لغته، فانه يساهم في حفظ اللغة، ويصبح أدبه مانعا دون تغيرها السريع، مع مساهمته في إثراء هذه اللغة، من داخلها.

فالى أي **مدى يمكن أن تحمل هذه اللغة** سمات تميزها عن لغة الاعلام؟

• • المعنى.... ومعنى المعنى:

لأن الموضوع الذي تعبر عنه اللغة، يفرز أسلوبه، كما تفعل الوسيلة بالرسالة، ولأن مواضيع الأدب شديدة التنوع، فان الأساليب الأدبية شديدة التنوع ايضا.. وبذلك يكون أسلوب الأديب الفرد فريدا، في مقابل الأسلوب الاعلامي الشامل. ولأن اللغة مقصودة بذاتها في الأدب - كجزء أساسي من جمالياته - فان البحث فيها يوصل إلى اللغة الموحية غير المباشرة، في مقابل اللغة التقريرية للاعلام. ولأن اللغة موحية في الأدب فان التكرار فيها عيب، يجعل العبارات الجاهزة معيقة للتفكير المبتكر، بينما يصبح التكرار قاعدة إعلامية تهدف لتأكيد الفكرة (إذا نظرنا الى التكرار كنقل لتعابير الآخر، او كاعادة للتعبير نفسه في الرسالة الاعلامية الواحدة). وهي بسبب خصوصيتها أقل تأثراً بالعوامل الخارجية من لغة الاعلام، لذلك يكون الثبات النسبي لقواعدها وتراكيبها أوضح. ولأنها لغة تعبير عاطفي، فان حاجتها إلى التأمل أكثر. ولأن تعبيرها يكون انعكاسا لتمثل الواقع لا تصويراً له، فانها تهتم بالصدق الفني في مقابل الصدق الموضوعي الذي تهتم به لغة الاعلام. ولأنها تصدر عن توتر انفعالي فانها تكون مكثفة ومشحونة، تميل الى الايجاز الذي يسعى الى التعبير عن الفكرة أو الموقف بأقل عدد من الكلمات.

هي إذن لغة شخصية، موحية، مكثفة. تعابيرها موسيقية، ومصورة، لا يصل إليها إلا صاحب الموهبة، وحين يصل، فليس شرطا أن يتقن لغة الاعلام البسيطة... مهما كانت قوته الأدبية، فشكسبير مثلاً، كمؤلف مسرحيات جيدة - بالمقياس الأدبي - لو طلب منه أن يكون مراسلا لصحيفة لأخفق وخاب - على حدّ تعبير ارنموس وارد[١٠٤] - لأنه لا يملك مؤهلات تلك المهنة، التي تجعل من صاحبها داعية ومحرضا ومنظما جماعياً أيضا، كما وصفت

الصحيفة من قبل لينين[١٠٥].

إن الأديب رجل خيال، والخيال هو الذي يضع لمسته على لغته... والصحفي رجل وقائع، ينقلها إلى الحد الذي لا يكون له - إذا نجح - أي صديق - وقد لا يكون له عدو ايضا[١٠٦]...

واذا كانت اللغة، أية لغة، قد بدأت رموزا صوتية تشير الى مدلولات واقعية، ثم صارت رموزا تشكيلية تشير الى المدلولات نفسها، فان هذه الرموز، مع تنوع وسائل الاستعمال، أخذت تتجه الى التنوع في علاقاتها، وبالتالي في أساليب تعبيرها. كانت هذه الرموز تشير إلى (المعنى) أول الأمر، ومع التنوع صار بعضها يشير الى (معنى المعنى) أو ظلّه، أو ما يمكن أن يوحي به من خلال الصور. وكان الأدب أول الأمر هو الاعلام - شعرا وخطابة - ثم تطوّر الاعلام، فانفصل كمهنة، واحتفظ بالمعنى، حتى صار لكل موضوع أسلوبه اللغوي الخاص به، وصارت لغة الصحافة - كاعلام مثلا - تختلف عن لغة العلم أو الادب او الدين - كما يرى هاريس[١٠٧].

وهكذا تعود بنا الطريق الى ما عرفه علماء اللغة العرب، عندما بدأوا في وضع القواعد البلاغية للغتنا، فأشاروا - عند دراسة المجاز - إلى (المعنى ومعنى المعنى)[١٠٨].. ونكون بذلك من العربية قد بدأنا، وإليها ننتهي..

فهل حفظنا للغتنا حق جهد علمائها فيها، في أدبنا وإعلامنا كما يكون حق السلف على الخلف؟

•• بحثا عن موقف:

لحق باللغة العربية تغيّر كبير منذ توحدت لهجاتها في لهجة قريش. كان هذا التغير وليد عوامل كثيرة، منها الاحتكاك باللغات المجاورة التي قدّمت بعض دخيلها للغة العربية فاستوعبته أو ظل طارئا فيها، ومنها امتداد المساحة العربية إلى مناطق جغرافية جديدة، وجد فيها من قبل أقوام لهم لغات، أخذوا العربية لغة فتأثرت بلغاتهم، وبيئاتهم وأساليب نطقهم. ثم جاء انتجزّؤ العربي إلى أقاليم يتقلص بينها الاتصال الثقافي، وتصبح اللغة العربية معزولة في كل إقليم، لتتطور داخليا ضمن هذه العزلة. وتبتعد عن اللغة الأم. ثم جاء الاستعمار، بكل ضغوطه، إلى الأقاليم العربية، وركز على اللغة التي توحّد هذه الأقاليم، بفرض القيود على تعلمها واتصالها من ناحية، وبمحاولة لاستبدالها من ناحية أخرى بلغاته (التركية ثم الفرنسية والايطالية)، ولكن اللغة العربية استطاعت أن تصمد ضد محاولات الافناء، وان عجزت عن وقف التأثير فيها من قبل كل هذه العوامل، لأنها كظاهرة اجتماعية، لا تستطيع أن تكون بمعزل عما حولها.

وقد كانت محصلة هذه الضغوط متمثلة في استعادة بعض اللهجات العربية لقوتها، وولادة لهجات جديدة في الأقاليم العربية المختلفة، حتى صار لكل إقليم لهجته التي تختلف عن لهجة الاقاليم الأخرى، بمعجمها، وتراكيبها وحتى بالجرس الصوتي لرموزها الأساسية، ومركّبات هذه الرموز.

وقد ولدت هذه اللهجات محكيّة، من رحم اللغة الأم، إضافة الى ما طرأ عليها من كلمات دخيلة، أصبحت مألوفة بالاستعمال أو معرّبة. وقد جاءت هذه الولادة تدريجية - ربما من باب الاقتصاد في الجهد - واستطاعت بالتدريج أن تخرج عن قواعد اللغة الأم، التي ظلت لغة التعليم والتدوين.

وبسبب الانعزال الاقليمي - جغرافيا، وقصديا في بعض الأوقات - تباينت هذه اللهجات، وازداد التباعد بينها من جهة، وبينها وبين اللغة الام من جهة أخرى، حتى أصبح فهم هذه اللهجات صعبا على غير أبناء الاقليم الواحد، أو الأقاليم المتصلة به، ففقدت اللهجات موقعها كوسيلة اتصال بين أبناء الأمة الواحدة.. هذا إذا لم ننس تنوع التعبير بالفصحى بين الاقاليم، وخصوصيته في كل منها.

وبسبب الاتجاهات الاقليمية التي شهدها الوطن العربي - وما يزال - ولد قصد جديد لتكريس بعض هذه اللهجات كلغات، وانساق إلى هذا القصد بعض الذين حاولوا ربط «اللغة المحكيّة» بالواقعية... فكانت الكتابة باللهجات العامية هي محصلة الاتجاهين، وبذلك دخلت اللهجات مرحلة جديدة، عزّزت قوتها اتجاهات أجهزة الاعلام - عن قصد أو دون قصد - في تكريس اللهجات المحلية في برامجها المؤثرة.. حتى صارت بعض اللهجات سائدة، وقريبة القبول من الناس، بسبب التكرار والتقدير، خاصة من قبل الوسائل المقبولة جماهيريا، كالاذاعة والتليفزيون والسينما.. حتى أصبحت اللغة العربية الفصحى غريبة في بعض البرامج....

فهل هذا التغير طبيعي ومنطقي ومقبول... أم أنه يحمل في داخله خطورة تهدّد اللغة العربية الفصحى، العامل الأساسي من عوامل الوحدة العربية؟

لقد انطلقت الدعوة - السيئة القصد - الى تكريس العامية في اتجاهين: الأول يتمثل في الدعوة إلى شيوع اللهجات العامية لتحل في نهاية الأمر محل اللغة العربية الفصحى، والثاني يتمثل في الدعوة الى إبدال الحرف العربي وأسلوب الكتابة العربية بالحرف اللاتيني، أو الحرف العبري المتقطع[١٠٩]، بهدف فصل العربي عن تراثه، وتكريس التجزئة الاقليمية من خلال لغات إقليمية.

وقد نظر بعض المعنيين نظرة استخفاف إلى هذين الاتجاهين، وانطلقوا في دفاعهم عن العامية من منطلق التصوير الواقعي، وقرب اللهجات من الناس. وكان هذا المنطلق هو سلاحهم في الحوار الذي دار ويدور حول العامية والفصحى.. مع أن التصوير الواقعي يكون لذوات الشخوص، لا للغتهم.

فهل كان استخفافهم بالدعوات سيئة القصد ينطلق من الواقعية التي يتحدثون عنها؟ وهل هذا الاستخفاف يحمي اللغة العربية ويثريها؟

الواقع ان خطورة تحوّل اللهجات إلى لغات، قائمة كاحتمال، له في تاريخ اللغات أكثر من نموذج.. فاذا كانت الدعوة منطلقة من اتجاه لتكريس الاقليمية، فان هذا التكريس يمكن أن يؤثر الى درجة تحويل اللهجة إلى لغة... لأن «الخاصة المميزة للبنية الصرفية في لغة ما، شأنها شأن الخاصّة المميزة للمتن الأساسي لمعجم المفردات، تتكون

تبعا لطول سكنى الشعب المعني في موطن منعزل عما عداه[١١٠] » كما أن أية لغة، باستمرار ممارسة اللهجات فيها، قد تتجزأ، فاللغة اللاتينية قد تحولت إلى لهجات إقليمية غالية - رومانية، منقسمة بدورها الى عاميات محلية، في الوقت الذي كانت فيه الامبراطورية الرومانية نفسها تتجزأ وتنقسم، وعندما تكونت في « غالية » القديمة وحدة سياسية جديدة. أصبحت لهجة المقر الملكي.. لغة مكتوبة، هي اللغة الفرنسية[١١١] فما الذي يمكن أن يحمي اللغة العربية من تحوّل لهجاتها إلى لغات، ما دام التجزيء الاقليمي قائما، وما دامت اللهجات العامية قد دخلت مرحلة الكتابة، وما دام هذا الاتجاه يجد من يؤيده ويمارسه، عن وعي أو غير وعي.

إن القضية كلها بحاجة إلى موقف: قد يكون قرارا سياسيا وحدويا[١١٢] يعم التعليم ووسائل الاعلام جميعا، وقد يكون اختياراً من قبل من يمارسون الكتابة للأدب، ووسائل الاعلام..

ان كل المحاولات السيئة القصد، لم تستطع أن تحقق وجود اللغة لأية لهجة... ولكنّ هذا الفشل لا يجعلنا قادرين على الاطمئنان إلى المستقبل، فالتغير في اللغة بطيء، ولكنّه مستمر، كما أن جذور الدعوات الاقليمية قائمة... واذا كانت محاولات وضع « قواعد » للهجة المحلية المصرية قد فشلت، فربما جاء - مستقبلا - من يملك طاقة سيبويه ليضع هذه القواعد باعتبارها استنبطاية.. - وربما جاءت سلطة إقليمية - مرتدة إلى الماضي السحيق - لتصدر قرارا سياسيا شبيها بقرار ولادة اللغة الفرنسية، في قطر عربي ما.

فما الذي يمكن ان يحمي لغة الوحدة العربية من مثل هذا المصير؟

ان الدعوة، حين تستبعد القصدية السيئة، تقف كاشكالية: دعاة الفصحى لهم أسبابهم، ودعاة العامية - في مواضعها - لهم أسبابهم الموازية. وفي الاشكالية، لا يكون الحلّ الا اختيارا، يغلب طرفا على طرف، ولكن اختيار واع، له هدفه الاجتماعي، الذي يخرج عن جزئيات الصراع.

يبدأ هذا الاختيار من القيمة التي نعطيها للغة، فاذا اعتبرناها ايديولوجيا الأمة، التي تختارها الأمة بحثا عن احترام الذات[١١٣] أو اعتبرناها دليل هوية المجتمع، وأهم عناصر توحيده[١١٤]، فان اختيارنا سيكون إلى جانبها، بغض النظر عن كل الآثار التي ستقع على اللهجات..

وهذا الاختيار يسنده الخوف على تجزيء اللغة من ناحية، والامكانية التي تملكها اللغة العربية الفصحى من ناحية أخرى.. لمن يعرفها جيدا.

واللغة - كظاهرة مكتسبة - تلعب الدور الحاسم في نموّها، الممارسة العملية.. وإذا توقفت هذه الممارسة، اتجهت اللغة إلى الفقر والعجز..

وامكانية اللغة العربية قائمة: ان المتعلّم لا يحكي بعاميته المطلقة بل يطور فيها، فتموت كلمات، وتنتعش من الفصحى كلمات. والتركيز يدفع بالعجلة في اتجاه الفصحى، خاصة إذا مورست في كل مجالات الحياة، باختيار قصدي، في الأدب بكل اشكاله، وفي الاعلام من خلال كل وسائله، حتى تتكون « عادة » التعبير بها لدى المواطن العربي، في كل اقليم.

والعربية تملك القدرة على هذا التطور الذي يسير باتجاه التعامل مع الحياة.. بكل طاقاتها على الاشتقاق والتوليد والاستيعاب، تلك الطاقات التي جعلت بلاشير يسجّل: إني لأصرخ أن لغة الاعتزاز هي العربية الفصحى[١١٥]، لأن اللهجات - الذاكرة، عاجزة، وكثيرا ما تخون من يعتمد عليها.

حلّ الاشكالية إذن يكون بالاختيار الايديولوجي الحاسم، وبعده ستكون الممارسة هي الفعل الذي يخلق العادة، ويكسب اللغة حياتها، وقدرتها على التعبير عن كل مظاهر حياة الأمة، حتى اليومي منها، وينفي أي تفكير او إحساس بالغرابة، ويفتح أبواب تطور حقيقي، تستطيع اللغة من خلاله ان تتشكل لتعبّر عن أي مجال ثقافي، ولتؤكد وجودها كعامل أساسي للتوحيد في ثقافة الأمة الواحدة، لأنها تصبح لغة الاعلام فيها، ولغة الأدب، ولغة الاتصال، ضمن قواعدها القابلة للتطور، وان تنوعت أساليبها داخل كل مجال.

هناك خطر قائم هو: ان اللغة العربية كظاهرة اجتماعية، قابلة للحياة، وقابلة للتطور، وقابلة للموت أيضا، من خلال العوامل المتعددة التي تؤثر فيها، وان القصد، والتخطيط قادران على تقوية فعل العوامل، أو ابطاء هذا الفعل. ولما كانت اللغة العربية تجد الكثير من الاتجاهات التي تدفعها باتجاه العامية، خاصة من قبل وسائل الاعلام، التي يزداد ميلها الى اللهجات العامية، إضافة الى بعض الاتجاهات الاقليمية التي تقصد طعن اللغة الفصحى، وإضافة الى الممارسات الأدبية، خاصة في حوارات القصة والمسرح.. لما كانت اللغة العربية الفصحى تتعرض لكل هذه الضغوط - إضافة الى غيابها الكامل عن الاتصال الانساني في الحياة اليومية - فان اختيار الفصحى، بقصد مسبق، واعتمادها في التعليم، والاعلام والأدب، وتشجيع المحادثة بها في الحياة اليومية، يكون اختيارا للحياة، واختيارا للوحدة.. ويكون بالتالي اختيارا ضد التجزئة أو الموت.

الهوامش

(١) د. محمد خضر - فقه اللغة - مؤسسة نوفل - بيروت ١٩٨١ ص١٣.

(٢) جون ليونز - اللغة وعلم اللغة (بالانجليزية) - جامعة كامبريدج ١٩٨١ - ص٤.

(٣) جون ليونز - نفسه - ص٣٠٤.

(٤) سانورا راب - مجلة (الكاتب) الأمريكية (بالانجليزية) يناير ١٩٦٨ ص١٢.

(٥) عبد المنعم الصاوي - مجلة الدراسات الاعلامية عدد ٣١ - يناير - يونيو ١٩٨٣ - ص٤.

(٦) ادوارد واكين - مقدمة الى وسائل الاتصال - ترجمة وديع فلسطين - القاهرة ١٩٨١ ص٣.

(٧) د. أسعد علي، د. فيكتور الكك - صناعة الكتابة - بيروت ١٩٧٢ ص١١١.

(٨) د. محمد خضر - مصدر سابق ص٦٧.

(٩) بانفيلوف - دراسات لغوية في ضوء الماركسية، ترجمة د.ميشال عاصي - دار ابن خلدون - بيروت ١٩٧٩ ص٣٤.
(١٠) جون ليونز - مصدر سابق ص٢.
(١١) د.عبد القادر حاتم - الرأي العام وتأثره بالدعاية والاعلام - مكتبة لبنان - بيروت ١٩٧٣ ص٢٢١.
(١٢) مارشال ماك لوهان - كيف نفهم وسائل الاتصال - ترجمة د.خليل صابات وآخرين - دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٧٥ ص٩٥.
(١٣) سونورا راب - مصدر سابق ص١٢.
(١٤) ادوارد واكين - مصدر سابق ص٣٥.
(١٥) مارشال ماك لوهان وكوينتين فلور - الوسيلة هي الرسالة (بالانجليزية) بنجوين - لندن ١٩٧١.
(١٦) د.ياسين خليل - مجلة المستقبل العربي - بيروت عدد ٥٩ يناير ١٩٨٤ ص٥٢.
(١٧) د.حسين الحاج علي - علم الاجتماع الادبي - المؤسسة الجامعية - بيروت ١٩٨٢ ص١٧٩.
(١٨) جون ليونز - مصدر سابق ص٦.
(١٩) محمد الهادي الطرابلسي - تنمية اللغة العربية في العصر الحديث - وزارة الشؤون الثقافية - تونس ١٩٧٨ ص٣٨.
(٢٠) مصطفى لطفي - اللغة العربية في إطارها الاجتماعي - معهد الانماء العربي - بيروت ١٩٨١ ص١٠٣.
(٢١) د.هـ.هيمز - علم اللغة الاجتماعي (تحرير براید - بالانجليزية) بنجوين - لندن ١٩٧٩ ص٢٤٨.
(٢٢) محمود منقذ الهاشمي - الرؤية النقدية - اتحاد الكتاب العرب - دمشق ١٩٨٠ ص٥٠.
(٢٣) د.حسين الحاج علي - مصدر سابق ص١٨٤.
(٢٤) د.محمد حسن عبد العزيز - لغة الصحافة المعاصرة - المركز العربي للثقافة والعلوم بيروت(؟) ص٦ - ٧.
(٢٥) نفسه ص١٨٤.
(٢٦) مصطفى لطفي - مصدر سابق ص٢٦.
(٢٧) د.أسعد علي، د.فيكتور الكك - مصدر سابق ص٥٤.
(٢٨) مرسيل كوهان - دراسات لغوية في ضوء الماركسية - مصدر سابق ص٨٠
(٢٩) نفسه ص٨١.
(٣٠) نفسه ص٨٢.
(٣١) جون ليونز - مصدر سابق ص٣٠٤.
(٣٢) نفسه ص١٧٨.
(٣٣) مرسيل كوهان - مصدر سابق - ص٨٠.
(٣٤) د.محمد حسن عبد العزيز - مصدر سابق ص٤١.
(٣٥) سانورا راب - مصدر سابق ص١٣.
(٣٦) د.حسن الحاج علي - مصدر سابق ص١٨٠ وما بعدها.
(٣٧) د.عبد القادر حاتم - مصدر سابق ص٢٢٢.
(٣٨) د.عبد الصبور شاهين - في علم اللغة العام - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٠ ص١٧٤.
(٣٩) د.عبد القادر حاتم - مصدر سابق ص٢٢٣.
(٤٠) د.محمد حسن عبد العزيز - مصدر سابق ص٧٨.
(٤١) ادوارد واكين - مصدر سابق ص٣٥.
(٤٢) نفسه ص٣٦.
(٤٣) لوهان وفلور - مصدر سابق ص٢٦.
(٤٤) فيكتور ايسترين - دراسات لغوية في ضوء الماركسية - مصدر سابق ص٤٨.
(٤٥) منير بكر التكريتي - نظرات في الأدب والاعلام - بغداد ١٩٧٨ ص١٢٤.
(٤٦) د.عبد القادر حاتم - مصدر سابق ص٢٢٠.
(٤٧) بوريس سربر نيكوف - دراسات لغوية في ضوء الماركسية - مصدر سابق ص٢٨.
(٤٨) لوهان وفلور - مصدر سابق ص٦٧.
(٤٩) رانـدولـف كويرك - الأسلوب والاتصال في اللغة الانجليزية (بالانجليزية) لندن ١٩٨٢ ص٣٠.
(٥٠) لوهان وفلور - مصدر سابق ص١٢٠.
(٥١) منير بكر التكريتي - مصدر سابق.
(٥٢) د.أسعد علي - فن الحياة فن الكتابة - الاتحاد الوطني لطلبة سوريا ١٩٧٧ ص٢٥١.
(٥٣) ايريفن تريب - علم اللغة الاجتماعي - مصدر سابق - ص٢٣٤.
(٥٤) لوهان وفلور - مصدر سابق ص٩.
(٥٥) د.حسين جمعة - قضايا الابداع الفني - دار الاداب - بيروت ١٩٨٣ ص١٣
(٥٦) منير بكر التكريتي - مصدر سابق ص٢٠.
(٥٧) د.عبد القادر حاتم - مصدر سابق ص١٧٦.
(٥٨) هادي نعمان الهيتي - الاتصال والتغير الثقافي - وزارة الثقافة العراقية ١٩٧٨ ص١١.
(٥٩) د.عبد الباسط عبد المعطي - الاعلام وتزييف الوعي - دار الثقافة الجديدة - القاهرة ١٩٧٩ ص١٣.
(٦٠) د.أسعد علي - مصدر سابق ص٣١ - نقلا عن عز الدين اسماعيل في الادب وفنونه .
(٦١) د.عبد القادر حاتم - مصدر سابق ص١٧٦.
(٦٢) فاروق خورشيد - بين الأدب والصحافة - منشورات اقرأ - بيروت ١٩٧٢ ص٧٦.
(٦٣) مصطفى لطفي - مصدر سابق ص٨٣.
(٦٤) والاس ستنجر - مجلة الكاتب الاميركية - اكتوبر ١٩٦٣ ص٢٤.
(٦٥) لوهان - مصدر سابق ص٢٢٨.
(٦٦) السيد يسين - التحليل الاجتماعي للأدب - دار التنوير بيروت ١٩٨٢ ص١١٣.
(٦٧) برايت وراما نوجان - علم اللغة الاجتماعي - مصدر سابق ص١٥٧.
(٦٨) أريك بارنو - الاتصال بالجماهير - ترجمة صلاح عز الدين وآخرين - مكتبة مصر ١٩٦٣ ص١٢٥.
(٦٩) نفسه ص١٢٥.
(٧٠) نفسه ص١٦٩.
(٧١) لوهان - مصدر سابق ٣٥١.
(٧٢) جون ليونز - مصدر سابق ص١٨٣.
(٧٣) برايت وراما نوجان - مصدر سابق ص١٥٩.
(٧٤) لوهان - مصدر سابق ص٣٥١.
(٧٥) حسن محمد طوالبة - نحو تخطيط موحد للاعلام العربي - مركز التوثيق الاعلامي - بغداد ١٩٨٣ ص٩٥.
(٧٦) د.عبد القادر حاتم - مصدر سابق ص١٥٤ وما بعدها.
(٧٧) راندولف كويرك - مصدر سابق ص١٤.
(٧٨) د.ر. مانيكار - التدفق الحر من جانب واحد - ترجمة فائق فهم - الرابطة العربية لمعاهد التدريس والتدريس الاعلامي - بنغازي - ليبيا.
(٧٩) د.عبد القادر حاتم - مصدر سابق - ص٣٢٨.
(٨٠) د.حامد ربيع - المستقبل العربي - مصدر سابق ص٩٩.
(٨١) أريك بارنو - مصدر سابق ص٨٥.
(٨٢) راندولف كويرك - مصدر سابق ص٨.
(٨٣) نفسه ص١٥.

(٨٤) لوهان - مصدر سابق ص٢٢٩.
(٨٥) محمود منقذ الهاشمي - مصدر سابق - ص٥٠ وما بعدها.
(٨٦) د.محمد حسن عبد العزيز - مصدر سابق ص٧٨ وما بعدها.
(٨٧) مصطفى لطفي - مصدر سابق ص٨٣ وما بعدها.
(٨٨) د.فوزية فهيم - الفن الاذاعي - المركز العربي للثقافة والعلوم - بيروت (؟) ص٤٨.
(٨٩) نفسه ص٤٩.
(٩٠) لوهان - مصدر سابق ص٢٣١.
(٩١) نفسه ص٣٥١.
(٩٢) لوهان وفلور - مصدر سابق ص٤٨.
(٩٣) سيبيل مارشال - الكتابة الابداعية (بالانجليزية) - ماكميلان لندن ١٩٧٤ ص٢٥.
(٩٤) والاس ستنجر - مصدر سابق ص٢١.
(٩٥) نفسه ص٢٤.
(٩٦) فاروق خورشيد - مصدر سابق ص١٧١.
(٩٧) نفسه ص١٦٩.
(٩٨) د.أسعد علي، د.فيكتور الكك - مصدر سابق ص٤٦.
(٩٩) أريك بارنو - مصدر سابق ص١٢٥
(١٠٠) رينيه ويليك واوستن وارين - نظرية الأدب - ترجمة محيي الدين صبحي دمشق (؟) ص٢٣.
(١٠١) ريتشار نويل - مجلة (الكاتب) الاميركية - أكتوبر ١٩٦٧ ص٢٠ - ٢٢.
(١٠٢) والاس ستنجر - مصدر سابق - ص٢٤.
(١٠٣) مارك شورر - مجلة (الكاتب) الامريكية - يونيو ١٩٦٧ ص١٤.
(١٠٤) لوهان - مصدر سابق ص٢٣٣.
(١٠٥) نفسه ص٢٣٩.
(١٠٦) دوان برادلي - الجريدة ومكانها في المجتمع الديمقراطي - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة (؟) ص٣٤.
(١٠٧) مصطفى لطفي - مصدر سابق - ص٤٥.
(١٠٨) عبد القاهر الجرجاني - دلائل الاعجاز - مكتبة القاهرة ١٩٦١ ص١٧٣.
(١٠٩) د.ياسين خليل - المستقبل العربي - مصدر سابق ص٤٥.
(١١٠) بوريس سربر نيكوف - مصدر سابق ص٢٨.
(١١١) مرسيل كوهان - مصدر سابق ص٨٢.
(١١٢) د.نايف خرما - أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة - عالم المعرفة - الكويت ١٩٧٨ ص٤٥.
(١١٣) راندولف كويرك - مصدر سابق - ص٥٩.
(١١٤) د.نايف خرما - مصدر سابق ص٢٢٩.
(١١٥) محمد السويسي - تنمية اللغة العربي - مصدر سابق ص١٨.

دار الآداب

تقدم

روايـــات مترجمـــة

- زوربا
  نيكوس كازنتزاكي -
  ترجمة جورج طرابيشي
- العراب
  ماريو بوزو
- الموت السعيد
  البير كامو -
  ترجمة عايدة مطرجي ادريس
- الغريب وقصص أخرى
  البير كامو -
  ترجمة عايدة مطرجي ادريس
- الطاعون - ألبير كامو
  ترجمة الدكتور سهيل ادريس
- قصة حب
  اريك سيغال
- قصة أوليفر
  اريك سيغال
- رجل وامرأة وولد
  اريك سيغال
- الموت حبا
  بيار دوشين
- صورة الفنان في شبابه
  جيمس جويس -
  ترجمة ماهر البطوطي
- الجحيم
  هنري باربوس -
  ترجمة جورج طرابيشي
- الشوارع العارية
  فاسكو براتوليني -
  ترجمة ادوار الخراط
- الفارس الخامس
  دومينيك لابير ولاري كولينز
  ترجمة المحامي جلال مطرجي
- مدام بوفاري
  غوستاف فلوبير
  ترجمة د. محمد مندور
- حزن وجمال
  رواية للكاتب الياباني كاواباتا
  ترجمة د. سهيل ادريس